

Refugee Studies Centre,
Queen Elizabeth House,
21 St Giles, Oxford OX1 3LA, UK.
Tel: +44 (0)1865 270722.
Fax: +44 (0)1865 270721.
Email: rsc@qeh.ox.ac.uk

www.rsc.ox.ac.uk



«عملية حرية العراق» والمليونون لاجئ عراقي الوهميون

بقلم: نور الضحى شطي

بالدخول إلى مخيم اللاجئين الأردني في الرويشد، كيف توصلت منظمات المساعدة الإنسانية الدولية إلى هذه التنبؤات الخاطئة؟ كيف تم حساب تقديرات المليونون لاجئاً، ولماذا تم قبول الأرقام بهذه السرعة؟

المفوضية بتخزين مواد إغاثة في ميناء العقبة الجنوبي جاهزة للإرسال الفوري إلى الرويشد إذا ما ثبت أن ذلك ضروري. وفي إيران، أعد المكتب الحكومي للمغتربين والمهاجرين الأجانب عشرة مواقع للمخيمات بمساعدة المفوضية العليا. وتم تزويد أربعة من هذه المواقع بمرافق أساسية مثل الصرف الصحي، وخدمات المياه، وكان بوسعها استضافة ٦٠ ألف لاجئ في البداية.

فضل معظم العراقيين البقاء في أماكنهم

نحن نعرف الآن أن الحرب أدت إلى نزوح نحو ٣٠٠ ألف شخص داخل العراق، أساساً من العرب الذين أجبرهم نظام صدام حسين مؤخراً على الاستيطان في قري كردية تحيط بمدينة كركوك في شمال العراق. وطلب عدد قليل نسبياً من الأشخاص اللجوء عبر الحدود الدولية، ومن فعلوا ذلك كانوا أساساً رعايا دول أخرى كانوا يقيمون في العراق.

وعلى الرغم من التنبؤات الكثيرة، لم يعبر أي لاجئ عراقيين الحدود إلى داخل إيران. وعلى الرغم من ذلك، تجمع قرابة ثلاثين ألف عراقي بالقرب من الحدود عند بادرة في شرقي العراق وطلبوا المساعدة من إيران. وردت السلطات الإيرانية بإرسال أغذية ومياه وأدوية إلى الحدود حيث طلبت أن يتولى العراقيون الأكبر سناً مسؤولية توزيع إمدادات الإغاثة. وفي سوريا، عبر أكثر من مائتي عراقي الحدود ولجأوا إلى مخيم الحول. وربما كاستجابة لتحذيرات أمريكية بعدم وجوب توفير مأوى لأي عناصر موالية للحكومة العراقية، تم إبعاد ٤٤ لاجئاً عراقياً، من بينهم ٢٣ طفلاً، بعد ذلك من مخيم الحول وأعيدوا إلى العراق. وكان جميع أفراد مجموعة اللاجئين هذه من سكان تكريت مسقط رأس صدام حسين.

ربما تمثل الخطأ الجوهري في افتراض أن مواطنين عراقيين سيتركون ديارهم بمجرد بدء الهجمات العسكرية الانجلو أمريكية. وبالنسبة لمعظم العراقيين، لم تكن «عملية حرية العراق» حملة تحرير ولكنها هجوم استعماري جديد على وطنهم. وفضل معظم العراقيين البقاء في أماكنهم، بالاحتماء بين جيرانهم الحميمين وأقاربهم، تأمين ممتلكاتهم وتأكيد عراقيتهم. إن افتراض الغرب بأن العراقيين ربما يفرّون عبر الحدود الدولية بحثاً عن سلامتهم الشخصية ثم يعودون بعد ذلك لاسترداد ممتلكاتهم لم يكن افتراضاً يحسب له عراقيون كثيرون أو عرب من أجل ذلك الأمر. إن دروس فلسطين كانت ولا تزال محفورة في النفس العربية. إذا هربت من حرب في وطنك فإنه قد لا يسمح لك بالعودة عندما ينتهي القتال.

نور الضحى شطي

نائب مدير مركز دراسات اللاجئين. البريد الإلكتروني: dawn.chatty@qeh.ox.ac.uk

في نوفمبر ٢٠٠٢، صوت مجلس الأمن بالإجماع لمساندة قرار أنجلو أمريكي (رقم ١٤٤١) يطلب من العراق إعادة مفتشي الأسلحة الذين سحبتهم الأمم المتحدة في عام ١٩٩٨. وفي الشهر التالي، حسبما طلبت الأمم المتحدة، زود المسؤولون العراقيون المنظمة الدولية بوثيقة تقع في ١٢ ألف صفحة تكشف النطاق عن برامج أسلحة الدمار الشامل العراقية. وفي ٥ مارس ٢٠٠٣، وبعد أشهر من الجهود الدبلوماسية المكثفة أصدر وزراء خارجية فرنسا، وروسيا، وألمانيا إعلاناً مشتركاً ذكروا فيه أنهم لن يسمحوا باستصدار قرار ثان من مجلس الأمن يفوض استخدام العمل العسكري ضد العراق. تخلت الولايات المتحدة والمملكة المتحدة عن الأمل في الحصول على تأييد مجلس الأمن لنش حرب على العراق. وفي ٢٠ مارس، شنت الولايات المتحدة أول مجموعة من الضربات الجوية على بغداد لتبدأ «عملية تحرير العراق» رسمياً.

وخلال الفترة ما بين نوفمبر ٢٠٠٢، ومارس ٢٠٠٣ كانت هناك تقديرات بأن مثل هذا العمل العسكري سيؤدي إلى نزوح أكثر من مليون شخص داخل العراق وعبر حدودها. وكانت المفوضية العليا للاجئين والعديد من المنظمات غير الحكومية قد قاموا باستعدادات لاستقبال هذه الموجة من البشر في الأردن، وسوريا، وإيران. وفي سوريا، تناوضت المفوضية العليا بشأن تحديث موقع الحول للمخيمات في شرقي سوريا وتم الاتفاق على موقعين آخرين مع الحكومة السورية في الهاروبية ومغير الطنف الحدودي. وجهزت المفوضية مواد غير غذائية تكفي خمسة آلاف شخص في البلد إلى جانب مواد إضافية جاهزة للنقل من ميناء الإسكندرونة التركي أو ميناء العقبة الأردني في ظرف ساعات. وفي الأردن، عملت المفوضية بشكل وثيق مع الجمعية الخيرية الهاشمية لإقامة موقع لاستقبال اللاجئين قرب الرويشد في شرقي الأردن. وبالإضافة لذلك، قامت

وفي الأردن، وصل أكثر من ١٢٠٠ لاجئاً إلى معبر الكرمة الحدودي الواقع بين العراق والأردن، ووجدوا أنفسهم محاصرين، غير قادرين على العبور إلى داخل الأردن، وغير مستعدين للعودة إلى داخل العراق. كان هؤلاء بصفة أساسية رعايا دول ثالثة حوصروا في «أرض مشاع»! أفراد إيرانيون، فرس إيرانيون، عرب، وفلسطينيون. وبعد شهرين من بدء «عملية تحرير العراق»، سمح لنحو ٥٥٠ فلسطينياً ومئات قليلة من لاجئ عراقيين آخرين